ملاحظات وذكريات عن رحلة الحج

للأستاذ محمد محمود بحيح

شيخ الطريقة السطوحية

أما الملاحظات فلنبدأ منها بيثرب مدينة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هذه المدينة التى نصرت الإسلام وفيها تأسست أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ المدينه التى يأرز إليها الإيمان كما تأرز الحية إلى جحرها . هذه المدينة آخر عهدى بها كان سنة ١٩٤٥ وعهدى بها كان الآن سنة ١٩٦١ وأشهد والله يشهد أنها هى بعينها لم تمتد إليها يد التخطيط والتجميل أو العمران إلا النزر اليسير ، طبعا الحرم النبوى لا شك اتسع اتساعا ضخما وعمارة فخمة وإنارة رائعة وما حول الحرم هو هو اللهم إلا منشأة بناها الملك المعظم سعود وحبسها لعمارة الحرم الشريف . وبعض المبانى حول الحرم مثل فندق المدينة وفندق بهاء الدين وفندق الصفا وفندق السلام . هذا عدا فندق التيسير وهو قديم . وإلا شارع المناخة حيث نظم وتزرع فى وسطه المزارع وقسم طريقين وما عدا ذلك فلا إنشاءات ولا تنظيمات كما هو الحال فى جده التى تبدلت وتغيرت وصحت والحق يقال أنها قطعة من ثغر الإسكندرية نظافة ونظاما وعمرانا . أما أهل المدينة فهم هم ثغورهم الضاحكة وسماحتهم الناطقة إلا بعض تجارها حيث نقلوا عن إخوانهم الجديين والمكيين الغلظة فى القول والتبزم لأقل مناقشة فى الأسعار . العناية بالنظافة والعمران فى المدينة يحتاج الكثير لقد شهدنا انفجارا فى مياه شارع البر إلى قرب الحرم النبوى ومكثنا الأيام والأيام والحال كما هو وتركناه ولم تمتد إليه يد للإصلاح .

أما بكة أو مكة أم القرى فالحال فيها تغير عما سبق العمران والنظام والنظافة وكل شىء يسير فى مكة إلى الأمام لانخفى أن زياده الحجيج تغطى تقدم المبانى ولا زال الحال كما كان فى سنة ١٩٤٥ بل زادت كثافة السكان حتى أنى رأيت ما يزيد عن الثلاثين حاجا يسكنون فى حجرة واحدة ويحمدون الله لأنها مزودة بمروحة كهربائية ويشكرون للمطوف رعايته وحسن وفادته فقلت فى نفسى إذا عند غيره مثلها منزلا لخمسين . مكة ينقصها المطاعم النظيفة المنظمة وينقصها الفنادق

الكثيرة لمن تضيق بهم بيوت المطوفين . الحرم المكى لاشك زاد زيادة هائلة وعندما تتم عمارته الجديدة سيتغير الحال بالنسبة لحجاج بيت الله الحرام . ففى جنباته وطبقاته سيكون متسعا للجميع .

أما عرفات . فحقا أنها أرض الغفران . وساحة رضاء الرحمن ، ومكان يضمر ويصفر فيه الشيطان . ولكن هى بحالتها الآن ساحه للميكروبات . وميدانا للقاذورات يحتاج إلى دورات مياه . ومظلات فى الطرقات خصوصا عندما يسمونه بالسبيل ، أى الأمكنة التى تقدم فيها المياه المثلجة مجانا هدية من الملك سعود .

وأشهد أن البعثات الطبية من سائر البلاد الإسلامية كانت كثيرة وفيرة وتقوم بواجبها خير قيام . كان لاينقطع سيرها ليل نهار . تجوب الشوارع بأبواقها وعلاماتها وكأنها فى ميدان قتال . هذه اللفتة من الدول الإسلامية كانت مثمرة مجدية نرجو دوامها وزيادتها فى الأعوام القادمة إن شاء الله .

ولى رجاء أتمنى أن تحققه الأيام وهو التفاهم التام بين جميع الممالك الإسلامية وبين المملكة السعودية على تمكين البعثات الثقافية والدينية من مهمتها وتأدية رسالتها أى يسمح لأفرادها أو ممثليها بإلقاء كلمات أو محاضرات فى الحرمين الشريفين فى كل ضحى وبعد صلاة العشاء وبعد صلاة العصر إن تيسر ذلك .

لقد تعرض غيرى من السادة الزملاء لمنى وما يصيب منى من لحوم الهدى وما ينجم عنه من مناظر تقشعر منها الأبدان . فلا داعى لدخولى فى هذا المقام .

أما ذكرياتى عن الحج فوالله مايشعر الإنسان بحقيقة نفسه وبمنزلته بين خلق الله . وبمدى ما يملك فى ملك الله . وبمدى احتياجه إلى رعاية ورضاء الله . مثل ما يشعر فى هذه البلاد المقدسة وأشهد أن الله يفيض على عباده جميعاً تقريباً بنعمة الرضاء والصبر والشكر . فترى الحاج فى أشق مرحلة وفى أقسى منزلة يخاطب أخاه (عقبال العودة) فيرد عليه بلهفة آمين . ثم ترى الإيثار يتجلى فى الغالب بين الحجاج وترى الرباط القلبى الذى لا تنفصم فيما بعد عراه . وترى المنظر البهيج الأكبر قبل عرفات حينما يجتمع الحجيج فى بيت الله الحرام وقد تباينت ألوانهم واختلفت لغاتهم وتعددت سماتهم لكنهم وحدة لاتتجزأ كلها متجهة إلى مكان واحد إلى الكعبة المشرفة إلى بيت الله الحرام .

هذا وأقدم شكرى إلى كل زميل غمرنى بفضل . أوخصنى بنبل . وأسأل المسامحة لكل أخ رأى منى مالم يعجبه فما فعلته عن قصد . وأسأل الله لى وللجميع القبول . والإحسان الموصول آمين .